التحولات النفسية في الشخصية الروائية شرق المتوسط لعبد الرحمن منيف أنموذجاً

إياد جوهر عبد الله
مدرس مساعد
جامعة كركوك / كلية التربية

الملخص

دار البحث على دراسة رواية من روايات (أدب السجون) وهي رواية (شرق المتوسط) لعبد الرحمن منيف ، وتضمنت دراستي تحليلاً للشخصيات الروائية من وجهة نظر علم النفس ورصد التحولات النفسية لتلك الشخصيات داخل النص الروائي ، ووجدنا ان شخصياته تعاني من ازمات نفسية وتحديات جسدية واختلاف بالرؤى مما دفعها للبحث عن منافذ اخرى للتعبير عن الذات التي اتبعتها سطوت الزمن داخل السجن .

والبحث يتألف من المدخل والتمهيد (علم النفس والرواية) وثلاثة مباحث

أما المبحث الاول فيتضمن (العلاقة بين البطل والبطل المضاد) .

والمبحث الثاني (وصف تحولات الشخصية من الداخل والخارج) .

ويأتي بعد ذلك المبحث الثالث و يتضمن التأثيرات الزمكانية في تحول الشخصية بفقرتين :

ا- الزمن الداخلي والخارجي .

ب- المكان – المغلق – المفتوح .

المدخل

يعد الادب انعكاساً للحياة ، والرواية هي جزء من عالم الأدب اذ تصور وقائع حدثت وما زالت تحدث ، فالرواية التي نحن بصدد دراستها هي رواية (شرق المتوسط) لعبد الرحمن منيف ، وتنتمي هذه الرواية الى ادب السياسة او ادب السجون اذ تفضح وبنحو سافر همجية الانسان ضد نفسه وضد الاخرين .

وتعد رواية (شرق المتوسط) العمل الثاني للروائي عبد الرحمن منيف الذي كان حذراً في كتابة هذا المشروع ؛ لأنه تناول احد المحرمات الكبرى في العالم العربي والشرق ؛ وهو عالم السجن السياسي ، وتمثل روايته هماً جماعياً تتحمله الشخصية داخل السجن وهو عبارة عن كابوس كبير يجب أن يواجه ويفضح تمهيداً للتخلص منه وإقامة حياة من نمط أخر .

هذا الموضوع هو الاطار الذي كانت تدور فيه احداث الرواية وقد تم دراسة الشخصيات وسبر أغوارها النفسية والذهنية ورصد كل التحولات على المستوى الجسدي وبالتالي على المستوي النفسي والاجتماعي وهذه هي غايتنا من تتبع تلك الشخصيات في نص عبد الرحمن منيف من خلال روايته (شرق المتوسط) ، أما الكثير من التفاصيل المتعلقة برسم الملامح والاجواء والتفاصيل فهي تأتي من خلال بناء النص أي البطل والبطل المضاد ، الضحية والجلاد .

التمهيد : علم النفس والرواية

أن صلة علم النفس بالأدب والنقد الرواية تمتد الى ظهور الفلسفة والتي تعد ام العلوم منذُ زمن الفلاسفة اليونان أمثال افلاطون وارسطو وموقفهم من الفن والادب ونظريات كثيرة كنظيرة (التطهير لأرسطو) . ويستمر الاهتمام بالجانب النفسي للادب حتى مجموعة من العلماء الذين سارو على نهج هؤلاء الفلاسفة ولكن بتطور اكد بنظريات اوسع امثال بوالو وهيجل وكانت وشوبنهور وبرحبوث وكروتشه [١] ، ولذلك وضعت الكثير من النظريات والفرضيات التي اصبحت فيما بعد مرجعاً لكثير من الدراسات التي تهتم بالجانب النفسي للانسان والكشف عن خارطته الداخلية واحاسيسه المختلفة تجاه المواقف المتعددة ((ولقد بقي الادب على الدوان موضع اجتذاب السايكولوجيا اكثر من اي فن آخر ، وربما كان ذلك لانه طريقة أخرى للسايكولوجيا ، رحلة ساحرة رومأنتكية تقريباً الى النفس psyche ، إلى عالم الوعي الدائب الدوران . ومن المحتم على الادب والفن عموماً ، أن يحمل شهادة سايكولوجيا عن الانسان)) [٢] .

يتضح لنا ان حياة الانسان تتكون من مجموعة من الحلقات المتقاطعة فكرياً واجتماعياً وعلاقته مع غيره تحدد نوعية شخصيته ومستواها الاجتماعي ويعرف علماء النفس علم النفس بالتناوب بوصفه ((علم الحياة العقلية)) أو (علم السلوك) أو بوصفه مجموع السمات التي تميز خلق فرد أو جماعة ما . ولكي نفهم جيداً معنى هذه التعريفات ومداها يجب ان نشير بوضوح الى القطبين اللذين يتردد بينهما علم النفس وهما الدراسة المباشرة للحياة الباطنية ذاتها ، وملاحظة الوقائع العضوية للتوصل الى معرفة الحياة النفسية [٣] .

وقد تم فعلاً دراسة الانسان بالتفصيل وتحليل كل السمات النفسية ووضع النظريات الكثيرة في هذا المجال ولاسيما على يد العالم (فرويد) صاحب مدرسة (التحليل النفسي) والذي استطاع سبراغوار نفسية الانسان وتقسيمها الى دوائر مترابطة فيما بينها إذ يقول في كتابه: (علم النفس الجمعي وتحليل الانا) ((ان التعارض بين علم النفس الفردي وعلم النفس الاجتماعي او الجمعي ، الذي قد يبدو للوهلة الاولى عميقاً للغاية ، يفقد الكثير من حدته عندما تمعن فيه النظر عن كثب . فلا

مراء في ان العلم الاول موضوعه الفرد . وانه يبحث عن الوسائل التي يستخدمها هذا الفرد وعن الطرق التي يسلكها للوصول الى تلبية رغباته وحاجاته .... والنظر الى العلاقات القائمة بين الفرد ونظرائه . وذلك ان الغير يلعب على الدوام في حياة الفرد دور نموذج أو موضوع او شريك او خصم . وعلم النفس الفردي يتبدى من البداية بوصفه في الوقت نفسه ، من جانب من الجوانب ، علماً نفسياً اجتماعياً)) [٤] .

وكذلك نجد أن النقاد العرب القدماء قد تناولوا بعض هذه النظريات امثال ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) في كتابه الشعر والشعراء والقاضي الجرجاني في كتابه (الوساطة) ويبقى هذا الاهتمام بالجانب النفسي للادب متواصلاً حتى نصل الى العصر الحديث فنجد ان عز الدين اسماعيل تناول الادب من وجهة نظر نفسية في كتابه (التفسير النفسي للأدب) وسار على نهجه مصطفى سويف في كتابه (الاسس النفسية للابداع الفني) .

نستطيع من خلال هذا الاتجاه الكشف عن انفعالات وتحولات الشخصية الروائية عن طريق التحليل النفسي لتلك الشخصيات ودراستها وتشريحها ذهنياً ومعرفة الغايات التي تمكن وراء احداث الرواية وفك رموزها للوصول الى الافكار الكامنة في ذهن كاتبها ((ومهما كان الهدف الذي يسعى اليه علم النفس وسواء اراد ان يكون (خطاباً عن الاهواء) او اهتم بالسمات الخلقية أو (باهواء النفس) او باللاشعور أو بالسلوك فأنه يمكن ان يظهر في الرواية بطريقتين مختلفتين ، الايحاء بالحياة الباطنية او تحليلها واذا كان من الصعب ان تحدد بدقة موضع نشوء الرواية المكرسة بكليتها للايحاء بالحياة النفسية ، من خلال تطور هذا النوع الادبي ، فبامكاننا ان نؤكد ان التحليل النفس قديم قدم الرواية ذاتها)) [٥] . وبهذا نجد ان علاقة علم النفس بالرواية علاقة ، فالشخصية الروائية هي شخصية قد اخذت من الواقع ولذلك نجد ان كل ما ينطبق على الشخصية الواقعية - لكونها الاصل - ينطبق على الشخصية المستعارة .

المبحث الأول :العلاقة بين البطل والبطل المضاد

اعتاد الباحثون والنقاد على تقسيم الشخصية الروائية على انواع ونماذج وسوى ذلك حسب الاعمال الروائية التي تم دراستها – كالشخصية الرئيسة والثانوية والمحورية والمسطحة والثابتة والفاعلة وغير الفاعلة الى أخر التقسيمات ، ولكن هذه التقسيمات تظل شكلية اقتضتها ضرورة الدراسة ، فالشخصية داخل النص الروائي هي حياة متكاملة وهنا لا بد من القول ان الشخصية لا يقاس نوعها بعلاقتها مع الشخصيات الاخرى فحسب وانما بعلاقتها بالمكان والزمان والحوار

والوصف وهذا ما سندرسه لاحقاً في مباحث اخرى بعد دراسة شخصية البطل وعلاقتها مع الشخصيات الاخرى .

بات من الضروري التعرف على الشخصيات التي تقود الاحداث ؛ لأن المؤلف اعتنى برسم شخصياته من الخارج والداخل ، لان الشخصية تحتاج الى رفدها بالاوصاف والملامح التي تؤهلها من القيام بالعمل المناط اليها ((فهي الشخصية التي يبذل القاص كل جهده لتطوريها وسبر اغوارها وخفاياها وبيان صفاتها المتغيرة وسماتها المتعددة ، وتتمتع بابعاد وصفات عاطفية وانفعالية وفكرية متعددة وأهم من كل هذا وذاك ان الشخصية المدورة في العمل القصصي تتغير وتنمو انفعالياً وفكرياً)) [٦].

وتكون هذه الشخصية مركز الاحداث وانطلاق وتقاطع الرؤى السردية والتداخلات الزمنية . اذ ان معظم حركة الشخصيات الاخرى تعتمد على حركة الشخصية الرئيسة نفسها ولكن هذا الدور الذي تلعبه تلك الشخصية لا يلغي دور الشخصيات الاخرى الثانوية بل ان لها اهمية كبيرة في العمل الروائي اذ ((يرى بعض النقاد ان الشخصيات ينبغي ان تكون اكثر شبهاً (بالحياة) وانها ينبغي الا تبدى على الدوام ، جانباً واحداً للقاريء بل ان تدور مبدية لنا كل جوانبها بدلاً من ذلك السطح الذي لا يتغير)) [٧] ، ومما لا شك فيه ان اعطاء شخصية البطل فرصة للتعبير عما يجول بداخلها والتعبير عن فلسفتها يكشف للقارئ الكثير من زوايا النص الروائي ويضيء خط التواصل الفعلي للقراءة ولهذا فان السارد ((يترك الشخصيات تتطور حسب هواها ، ان تختفي فجاءة او أن تجر مؤلفها الى مغامرات ولقاءات غير متوقعة لكن هذه التأكيدات المتكررة والمتعلقة باستقلال الشخصيات وبقدر جذبها تمنع النقد من متابعة بحوثه التوليدية ومن محاولته دراسة تطور فكر المبدعين من خلال إبداعاتهم . لاسيما وقد وفد نظامان جديدان هما (علم الاجتماع ، والتحليل النفسي) لشد ازر التاريخ الادبي)) [٨] .

ففي أي عمل روائي لا بد من ظهور الثنائيات بين الخير والشر والحب والبغض والحرية والعبودية وما الى ذلك . فبدون هذه الثنائيات لا يمكن بناء نسق الاحداث بالشكل الصحيح فالتجاذبات الفكرية والاجتماعية تقتضي حضور شخصيات متضاربة الاهواء والاهداف والميول والنزعات لان ((اصطدام الشخصيات بغيرها يولد طاقة من الغضب او الانفعال كما تتولد الطاقة الحرارية عن اصطدام مادة بأخرى ولكيلا تُختزن هذه الطاقة وتبقى مكتوبة فيضيق بها المجال ، ونحاول ان ننفس عن بعضها)) [٩] ، وهكذا تتضافر جهود السارد والشخصية معاً على ابراز ملامح الشخصيات الفواعل واضفاء الصفه عليها .

وأهم هذه الشخصيات هي التي يقع عليها التركيز ؛ وهي الشخصيات البطلة التي تستقطب اهتمام سائر الشخصيات الاخرى ، ويكون لها في النص الحضور الاكثر كثافة [١٠] .

تعاني شخصية البطل في رواية (شرق المتوسط لعبد الرحمن منيف) خلف قضبان السجن من العذاب النفسي والجسدي ورحلة عذاب طويلة تمتد من ساعة الاعتقال وحتى الافراج عنه بعد خمس سنوات (رجب) الذي لم تفلح منه كل انواع الشتائم والإهانات والاعمال القذرة التي تناط بـ (رجب) داخل السجن لاجباره التوقيع على ورقة فيها مجموعة اعترافات لم يفعلها يوماً ما مما دفعه الى تخيلات غير منطقية ومتاهات فلسفية يجد فيها راحة يفتقد اليها عند هؤلاء الجلادين . فنلحظ اول تحول نفسي في شخصية رجب ذلك المثقف الذي بدأ بالهروب من واقعه بقوله : ((اول غيوم تمر فوق السجن كانت هشة صغيرة ، تشبه الغبار ومع مرور الدقائق تتمزق وتتلاشى ، وكان في داخلي شيء يتمزق .

لماذا انفجر في داخلي ذاك العواء الاجرب ؟ لماذا ؟ لماذا

قلت لنفسي ، بلغة فلسفية مدنسة:

على الارض حيوان، له قامة طويلة ، وأذرع قريبة الشبه باذرع الشمبانزي اما الساقان فضامرتان وفي نهايتهما اقدام عريضة ، اما في القمة فكتلة صلبة مغطاة بالشعر وفيها ثقوب عديدة في المقدمة وعلى الجانبين . وهذا ، الحيوان يستخدم الثقب الامامي ، وخاصة العريض في اسفل الكتلة الصلبة ، في القرض والغناء والصفير ، وايام الشتاء يستخدمه للتنفس ، اما ايام الرعب فإنه يستعمله لغرض واحد فقط ، وهذا الغرض لم يعرف له بعد اسم محدد ، قال بعضهم للدفاع عن النفس ، وقال آخرون للقتل ، أما الكثرة الغالبة ، فيؤكد أن الاستعمال الوحيد لهذا الثقب في زمن الرعب يكون للقتل او للانتحار)) [١١] .

نلحظ ان شخصية (رجب) تتماهى في الخيال مجسدة حالة من الهروب من الواقع المعيش والدخول في ايحاءات رمزية وفلسفية كوسيلة نفسية للخلاص من الصعوبات والمضايقات الى تواجهه وهذه حالة يؤكدها علم النفس والفلسفة منذ القدم . أذ إن الانسان القديم لجأ الى الاساطير والخرافات في سبيل التخلص من واقع الحياة الغامضة التي كان الانسان لا يفهمها فهو يجد متنفسا روحيا وجسديا في هذه التخيلات وكل هذه التبدلات والطقوس الجماعية هي ليس بمعزل عن الانسان بمفرده بل تؤثر عليه سلباً او ايجاباً و ((المطلوب اذن الوصول الى التفسير السيكولوجي لتلك التبدلات النفسية التي يحدثها الجمع في الفرد)) [١٢] .

تعد شخصية (رجب) من الشخصيات المحورية في الرواية وسير الاحداث وتبادل الحوار لإضاءة تلك الشخصيات الاخرى خارجياً وداخلياً سلوكاً واقوالاً ، فهو البطل وهو يهيمن على الاحداث والامكنة والازمنة ويتفاعل معها ، فهي معه حيث

حل وحيث كان ، فيعد(رجب) بؤرة هذا العمل ووظيفة الشخصيات الاخرى الكثيرة التي يصادفها او يتعامل معها ابراز التحولات النفسية التي مرَّ بها خلال فترة الاعتقال او بعده ولهذا فأن موقف الشخصيات الاخرى كان له دور كبير في تحديد تصرفات هذا البطل سواء كانت تصرفات ايجابية ام سلبية وأهم صفات هذه الشخصية التعلق بالحرية والمعتقد والهيام بها الى حد الجنون فهي لا تتنازل تحت أي ضغوظ عن ما تعتقده مع انها محاصرة خلف جدران السجن وهي بهذا تحاول تغيير حياتها واقامة حياة من نمط آخر ولكن هذا الصمود له ثمن والثمن مواجهة شخصية (الاغا) مسؤول السجن (البطل المضاد) وهو اهم الشخصيات في الرواية والذي يمارس كل وسائل التعذيب والاهانة والاذلال ويستخدم الدهاليز المظلمةوالمنفردة كمحاولة لكسر الارادة والوصول الى انتزاع الاعترافات .

يتجسد هذا الصراع من خلال التفاعل بين افكار ورؤى الشخصيات المختلفة في النص الروائي ، فشخصية (الاغا) تمارس سلطتها على مجموعة من السجناء ومن ضمنهم (رجب) وهو يصف لنا ما يدور بينهما من احداث ((هززت رأسي دون ان اقول كلمة .الاغا الذي اراه الآن يختلف عن الذي عرفته طوال خمس سنين بدا لي هذه المرة سميناً ، بالكرش الصغير الذي يبرز فوق الحزام ، أما يده فقد رايتها اشد بياضاً وثقلاً . ولم الحظ خلال الفترة الماضية كلها أن له شامة في منتصف رقبته ماذا يقولون عني ؟

اول المساء تبدأ الحفلة ، هكذا حصل في المرتين السابقتين في المساء يهدأ السجن ويروق مزاج الآغا .. بعد القيلولة الطويلة)) [١٣] .

شخصية الاغا تختلف عن كل الشخصيات ، فهو صاحب ملامح صلبة ووجه متحجر وكرش متدلي ، كما أنه صاحب قلب قاس وهذه الاوصاف تمت بقصديه من السارد لان العمل الذي انيط بهذه الشخصية يتطلب هذه الاوصاف وكذلك لرفد الصراع ما بين (رجب) من جهة و(الاغا) من جهة اخرى ((وهنا تغدو الانا في علاقتها بالآخر المحور في توجيه الصراع الدائر ووضعه على طاولة المفاوضات الثنائية التي لا تجد مفراً سوى الرضوخ لهذه الثنائية وبالتالي التماهي بين الاثنين ، وإن كانت النتيجة تحسم دوماً في صالح الجانب الاخر بوصفه الحلقة المسيطرة في عمليات الصراع وديناميا ته)) [١٤] .

ويستمر الصراع بين الشخصيات ، ويبدأ الاغا باعطاء المغريات والوعود لمن يوقع على ورقة اعترافات مزيفة :

- ((أقرأ يا كلب ، أقرأ بصوتٍ عالٍ .

تردد امجد لحظة ، كأنه يريد ان يعاند ، أن يقاوم ، لكن الوخزة الشديدة من عصا الاغا ، انغرزت في صدره وجعلته يتابع . .....

- من سيوقع الأن ؟

ولما ظللنا صامتين ، هز رأسه بثقة وتابع :

– على هذا الدرب .. اذ لم يكن اليوم فغداً ، وانتم الذين ستخسرون. غداً ستوقعون وتظلون في السجن ، اما الان فالذي يوقع يخرج من مكتبي رأساً الى الشارع فاني سأوصل ثيابه الى بيته ... هل توقعون ؟ هل يوقع احد)) [١٥] .

ويبقى الصراع هو الطابع الوحيد في تصرفات (رجب) داخل السجن فهو يعاني من الارق وعدم النوم والخوف من المجهول ؛ لان مصيره مرتبط باناس لا يعرفون الرحمة وهذا واضح من خلال موقفه تجاه كل المحاولات التي فرضها (الاغا) لينتزع منه الاعتراف كما في قوله : ((ظللت أياماً عديدة لا انام ، كنت اسهو مثل طائر . انتابتني الآم حادة في المعدة تقيأت مرات كثيرة ، حتى ظن الاغا اني اصبحت لقمة سهلة .. عرض علي اثناء مرضي ان اوقع واخرج فوراً ، بصقت في داخلي ، وأنا اتلوى من الآلم ،وقلت له بجلافة :

- اموت ولا اوقع)) [١٦] .

اما علاقة البطل بالشخصيات الاخرى فكان لها دور فعال في تغيير الاحداث ورفد ديمومة الحدث . فشخصية (الام) المتمثلة بأم رجب التي كانت تزوره في السجن متحملة كل انواع الاهانات والشتم في سبيل رؤية ابنها الوحيد ولتكن هذه الشخصية تتعرض للقتل من قبل حراس السجن . مما يضيف هماً أخر على هموم (رجب) النفسية ؛ لانها كانت امله في هذه الحياة .وهو يتذكر دائماً موتها بقوله : ((في ذلك الغروب شعرت أني وحيد لدرجة لا يمكن احتمالها ، هم قتلوا امي ظلوا ينخرون في عقلها وقلبها حتى قتلوها)) [١٧] .

وهذا الفراغ النفسي الذي يعاني منه يدفعه الى الرجوع الى الماضي وتذكر حبيبته هدى كتعويض عن فقدان امه وهدى التي تزوجت بعد سجنه ؛ لأنها تفضل الحياة الهادئة والخالية من المشاكل ، هكذا هو يقول وكانت هي الملاذ الوحيد لحريته . فهو يجتر ذكريات عاشها مع هدى لان هذه الذكريات تمثل له فسحة من الحرية ((كانت هدى اقوى الآمال التي تشدني الى عالم الحرية ، كنت اتصورها مثل بطلة الاساطير ، لا تمل من الانتظار أبداً . لكن لم تنتظر ، قالت لي في آخر رسالة : انا مرغمة على الموافقة يا رجب ، لكن سأحتفظ بالذكرى الى الابد ، أي نفع من الذكرى يا هدى .. هل تدفئ السجين الذي لا يحلم الا بساعة الحرية وهل يخرج من ليالي السجن الطويلة ليسقط في البرودة والفراغ)) [١٨] .

بدأ رجب في حيل نفسية دفاعية للتخلص من شبح هدى لانها اصبحت خارج ارادته ، وادرك انه لا بد من نسيانها حتى لا تبقى مصدر عذاب اخر يضاف لعذاباته داخل السجن بقوله : ((تحملت .. انطويت على نفسي ، وبدأت احارب هدى التي علقت في دمي ولا اعرف كيف ظللت مضطراً لسؤال انيسة عنها، كنت اسألها في اغلب المرات التي تزورني فيها واتلقى نفس الاجابات :

– تزوجت .. تزوجت وسافرت . عادت من السفر ولم أرها الا بسرعة يبدو ان هدى تفضل هذا اللون من الحياة ، الراحة ، البعد عن المشاكل))[١٩] .

بعد أن فقد (رجب) امه بالموت وهدى بالزواج من غيره ، أتجه اهتمامه وارتباطه بـ (انيسة) أخته التي تكبره سناً كتعويض نفسي بعد الأم والحبيبة ، ولكن هذاالارتباط يجلب له المتاعب لانها لم تكن تفهمه نفسياً وذهنياً ، بل كانت تتعامل معه بواقعية مؤلمة لأنها كانت ضعيفة ولا تجيد لعبة مواجهة الحياة القاسية كما يقول هو : ((انيسة لا تريد في الدنيا الا ان تراني أمامها ، ان اكون موجوداً دون أن تسأل عن سبب وجودي ، عن الطريقة التي اصبحت فيها موجوداً انيسة ورثت عن أمي الصفات الضعيفة ، أمي لم تورث الا الصفات الضعيفة ، نحن الاثنان ضعيفان ، أمي وحدها القوية ، حملت معها قوتها ورحلت ، ولم تترك الا الضعف . قالت لي انيسة في المرات الاخيرة كلمات جعلتني أحس بالمرض اكثر من السابق .... أنيسة التي دمرت حياتي جعلت أيامي الاخيرة في السجن جحيماً . كانت تنقل اليَّ حقارات العالم الخارجي وانتهاءه !))[٢٠] .

بعد انقضاء فترة السجن ، يخرج رجب ولكن بشخصية متغيرة ويختلف عما كان عليه ، فنلحظ التحول النفسي والذهني والاجتماعي عليه . فلم يعد ذلك الشاب الطموح المتفاهم الاجتماعي بل اصبح عبارة عن عقد نفسية متراكمة ويعاني من انفصام في الشخصية ، فهو لا يحب احدا ولا يريد ان يرى أي شخص . وهذا كله بسبب ماعاناه من هؤلاء الجلادين داخل السجن بسبب الاهانات والاذلال . بالاضافة الى تلك الامراض التي جلبها من سجنه ((ان رجب ليس رجب الذي اعرفه ... تغير كثيراً . رفض استقبال احد من اصدقائه ، كان فظاً وهو يصرخ في وجه عادل ، ويطلب منه ان يقول للذين جاءوا بأنه غائب ولن يعود قبل منتصف الليل .. وعمتي ، آه لشد ما غضبت ، لاول مرة رأيتها تبكي بهذا الشكل . امسكها من كتفها وهزها بقوة يريد ان يوقعها على الارض))[٢١] .

شعر رجب انه يبتعد عن نفسه واصبح شخصاً آخر فهو في دوامة لا يعرف نهايتها ، فبعد ان كان في صراع مع السجن والوحدة والغربة النفسية وانواع الاهانات اصبح اليوم في صراع مع المرض الجسدي والنفسي الذي لا يقل خطرا عن وضعه السابق ، فلا يزال يشعر أنه في سجن من نوع آخر . وتغيرت لديه الكثير من القناعات وزوالها بشكل تدريجي فبات رضاه نادراً . وايقن ان الهدف الذي يسعى من اجله وهو في السجن والمتمثل بتغيير وجه السلطة وتحطيمها هو ضرب من المستحيل . فبدأ بتحطيم نفسه واختار السفر الى بلاد الغربة بعيداً عن واقعه المؤلم ((السجن يا أنيسة في داخل الانسان ، اتمنى الا أحمل سجني اينما ذهبت ، ان مجرد تصور هذا العذاب يدفع بالانسان الى الانتحار))[٢٢] .

اختـــار السفر الى (اليونان) بحثاً عن الاستقرار والعلاج بقي هناك ولم يكن بينه وبين (أنيسة) سوى الرسائل بين الفترة والاخرى ((اعزائي : اثنيا تغرق في الضباب الناعم . مطر هادئ في نهاية الليل ، أما في الصباح فالضباب والنقاء . كل شيء مغسول ، ويكاد يضحك)) [٢٣] .

ويصل البطل الى نهايته التي تركت الباب مفتوحاً لكل التأويلات والتعاطف الانساني مع هذه الشخصية التي كابدت من اجل هم جماعي وهدف عام وضحت بحياتها من اجل الحق ومن المعلوم ان نهاية الرواية ليست النقطة التي تختم الاحداث فحسب بل تتضافر مع الشخصية والاحداث لتحقيق غرض الرواية .

وهكذا يعود (رجب) من الخارج بطلب من انيسة ، ويتم القاء القبض عليه بتهمت الكتابة ضد السلطة وبعد ثلاثة اسابيع يُلقى امام باب البيت وهو فاقد البصر وضعيف الجسد وبعد اربعة ايام يختم رجب حياته بالموت ويترك مجموعة اوراق بيد انيسة لتبقى شاهداً على حياة انسان عاش في هذه الدنيا في منطقة (شرق المتوسط) في بلد ما في ارض ما .

((قرأت اوراق رجب ، بكيت كثيراً لما قرأتها ، وبكيت أكثر لأني لم استطع ان اكون له أماً كما اراد ولا أعرف الأن ، هل أخطئ اذا تركتها تسافر خارج الحدود لتنشر ؟ لو ظل رجب حياً لغضب ، أنا متأكدة من ذلك ، فقد طلب مني ان احرقها ولم أفعل ـ ولأني اتركها الآن تسافر ، ليقرأها كل الناس ، رغم كل ما فيها من أخطاء وصرخات .. أنا امرأة خاطئة .. وأريد أن اتبع طريقة رجب ذاتها : أن ادفع الامور الى نهايتها لعل شيئـــاً بعد ذلك يقع)) [٢٤] . نلحظ انتهاء الشخصية قبل تحقيق الهدف الذي تسعى من اجله ، ولكن هذه النهاية جسدية فقط ، اذ انها فكريا ما زالت تتواصل للوصول الى الهدف المرجو ، والدليل على ذلك اوراقه التي بيد ((انيسه)) .

المبحث الثاني :وصف تحولات الشخصية من الداخل والخارج

ان عملية الوصف في النص الروائي تقوم على اساس ابراز صفة الشخصية والتعليق عليها من خلال تقديم الشخصية بكل ابعادها المادية والنفسية على دفعات حسب المنطق الذي ترتضيه الرواية ومن خلال اساليب متعددة تكسب الشخصية الشكل والدلالة التي تساعد القارئ على فهمها والتعطف معها((ولعل اولى وسائل الاقناع بحيوية الشخصية الروائية وواقعيتها رسم الجانب المادي منها ، أي اكسابها ثقلها من اللحم والدم ، ومنحها لوناً للسنحه ، وشكلاً معبراً للوجه)) [٢٥] .

وبهذا يعطينا الوصف انطباعاً متكاملاً عن الشخصية وعن مظهرها الخارجي وتحركاتها وسكناتها بحيث يجعلنا نشاركها ما تحس به من فرح وحزن واضطراب نفسي ، ولذلك يؤكد النقاد على أن الروائي الناجح هو الذي يستطيع ان

يجعل من شخصياته ابطالاً في اذهان الناس ؛ لان الوصف ((يعرف عادة بكونه ذلك الخطاب الذي ينصب على ما هو جغرافي أو مكاني أو شيئي أو مظهري فيزونومي الخ ... سواء كان ينصب على الداخل او الخارج ويمكن ان يحضر الوصف في شكل دليل مفرد او في شكل دليل مركب ، في شكل كلمة أو جملة أو متتالية من الجمل . وتشكل هذه المتغيرات)) [٢٦] .

وقد استخدم هذا النمط من وسائل السرد لغايات واهداف يسعى اليها السارد ؛ لأنه هناك ارتباط بين الشخصية وشكلها الخارجي او الداخلي وبين العمل المناط اليها وحالاتها النفسية فبعد ان كان الوصف شيئا جامداً في السابق اصبح اليوم ((ذا مستوى تعبيري يرتبط بالاحاسيس والمشاعر الانسانية ، واقترن مباشرة باسلوب السرد الذي يعتمده ، فهو في اسلوب السرد الموضوعي اداة بنائية بيد الراوي العليم ، يحدد بوساطتها الاطار الزماني والمكاني للحدث ، وطبائع الشخصيات ، وهو في اسلوب السرد الذاتي يمتزج برؤى الشخصية ، ويتناغم مع حالاتها النفسية)) [٢٧] .

نجد أحياناً ان الوصف الخارجي مرتبط بالوصف الداخلي أرتباطاً لا يمكن فصله ، فنلحظ ان شكل الشخصية الخارجي قد يوصلنا الى دواخل الشخصية و ما تحتويه من انفعالات وعواطف تجاه موقف معين ؛ لان هذا النوع من الوصف ((معتنياً بالوصف الموضوعي للاشياء والاشخاص ، وإن خالجت هذا الوصف نبرة تعاطف مع الدواخل المعذبة)) [٢٨] .

أن السبب في استخدام هذه الاساليب الوصفية في السرد وبناء الاحداث والكتابة يرجع الى ان الرواية تعتمد في عرض شخصيتها على فعل القراءة والكتابة فالشخصيات الموجودة في النص لا يمكن ملاحظتها بصرياً كما في المسرح او السينما . ولذا تطلب من السارد تقديم معلومات وصفية للقارئ ليتسنى له تخيل الشخصية ومشاركتها والتعرف عليها وبذلك تتم عملية التلقي الحقيقي بين النص والقارئ ، وهنا يتيح له استراحة ذهبية مع المقاطع الوصفية لان الوصف ((يرخي الحاضر ويوقف الحدث)) [٢٩] وهذا التوقف في سريان الزمن داخل النص الروائي له دور كبير في رفد القارئ بالمعلومات الكاملة عن اوصاف المكان والشخصية ويعطي معلومات مهمة لعملية التلقي وبهذا ينقسم النص الروائي الى مقاطع سردية وأخرى وصفية ((وتتناول المقاطع السردية الاحداث وسريان الزمن اما المقاطع الوصفية فتتناول تمثيل الاشياء الساكنة)) [٣٠] .

ندرك من خلاصة هذا القول علاقة علم النفس بالادب عامة وبالرواية خاصة وأن (كان علم النفس يحدد صفات الشخصية بعامة ، وشخصية المبدع بخاصة ، وإن الادب يصور الشخصية وهي تطفح بالمشاعر والاحاسيس ، باللذة والألم ،، وباليأس ، بالخير وبالشر)) [٣١] .

تتحرك شخصيات عبد الرحمن منيف في رواية (شرق المتوسط) بملامح واضحة تحمل دلالات ورموز نفسية موحية . وهذا مانجده واضحاً من خلال كلام (رجب) بعد خروجه من السجن وكيف أنه اصبح شخصاً اخر لا يشبه رجب قبل خمس سنوات بقوله : ((الفراش لامع نظيف . نحيتُ الوسادة ، ووضعت رأسي على طرف الفراش تقلبت . نظرت الى الجدران .. توقفت عيناي على صورة الشهادة ، كانت في زاويتها اليسرى صورتي ، نهضتُ على رؤوس اصابعي ، صعدت فوق المقعد ونظرتُ طويلاً الى الصورة (ليس بيننا أي شبه) ، ذهبتُ الى المرآة وتطلعتُ الى وجهي : شعرات بيضاء في الفودين وفي منتصف الرأس ، صفرة خفيفة في العينين ، تجاعيد .. لمن هذا الوجه ؟ وعدتُ اتطلع الى الصورة في زاوية الشهادة ، قلت في نفسي : (ان احد هذين مات))) [٣٢] .

من خلال التطلع الى صورته ورؤية وجهه في المرآة يلحظ رجب مدى التحول الذي اصابه في ملامحه بسبب السنوات التي قضاها في السجن وكيف أنه تحول الى شخص اخر لا يشبه الذي يراه في الصورة . وهذا دليل على مدى قسوة السجن وكيف ان السجن يختصر العمر ويسرع عملية الموت بالتدريج ويستلب من الانسان اجمل ايامه .

ان هذه الاوصاف والملامح الخارجية للشخصية وبدون شك تخفي بداخلها اوصاف لا تقل اهمية عن مظهرها الخارجي لان كلا الوصفين مرتبط بالاخر او ناتج عنه ((بدأت الدموع صغيرة خجولة في عينه في اليوم الاول .. لكن لا يكاد يوم جديد يأتي حتى ارى حزنه يتحول الى غمامة سوداء تفرد ظلها على البيت كله . جلست بخوف على حافة السرير كنت مستعدة لان احتمل كل شيء حتى انتزع العذاب الذي يموج في داخله ، ويدفعه في كل وقت الى العصبية والبكاء)) [٣٣] .

نلحظ تأثيرات السجن على رجب وانعكاسها نفسياً حتى خروجه منه ، فبعد ان كان داخل السجن اصبح اليوم السجن داخله عملية عكسية تفرضها حتمية قدر الانسان وظلم الاخر له ، فنجد ان شخصيته تعاني من ازمات وانشطارات في الذات مما يولد القلق والهلوسة وهي دائمة البحث عن الاستقرار ، و معلقة بين العالم الخارجي الذي اذاقه ويلات العذاب النفسي وبين العالم الداخلي الذي هو حصيلة ما عاناه سابقاً . فلا يجد ملاذاً سوى اخته (أنيسة) بعد وفاة والدته ((كنت اريد البكاء ، وكانت لدّي عشرات الاسباب ، وتصورت أني اذا تركت لنفسي الحرية في البكاء فقد انقذ رجب أيضاً، كنا ، نحن الاثنان ، بحاجة الى ان نغتسل بالبكاء ولايهم السبب الذي نبكي من اجله ، فقد كانت قلوبنا تمتلئ بالاحزان لدرجة ان أي شيء يكفي ليكون سبباً)) [٣٤] .

وقد يأتي الوصف خارجياً لبيان وضع الشخصية الذهني والعقلي والنفسي عن طريق الملامح التي تظهر في الوجه نتيجة لتداعيات موجهة ضد الشخصية وهذا مانلحظه من خلال الاسترجاع الذي تستخدمه انيسة وتتذكر كيف انها رأت .... رجب وهو في السجن ((لما رأيته قبل شهرين تشبثت بالباب الحديدي وبدأت ابكي بصوت عال تصورت أني لن اراه بعد ذلك . كانت عيناه تغوران في وجه معروق أصفر كأنه قام لتوه من مرض خطير)) [٣٥] .

وبهذا استطاع السارد ان يقيم جسراً بين الشخصية والمتلقي ونجح في التوصيل الذهني وبلوغ الغاية التي يسعى من اجلها ؛ ويستمر السارد بسرد الاحداث ويكشف عن خلجات الشخصية الداخلية فالصراع مستمر والتحولات النفسية مستمرة وهكذا تتحول ذات الشخصية الى منظومة صراع نفسي ذاتي تجاه الشخصيات الاخرى وهذا ما نراه واضحاً عندما قرر رجب السفر تاركاً أنيسة تعيش مع هواجسها وامنياتها التي لم تتحقق ((تمنيت لو اتلاشى . كنت اختنق بدموعي ،واتعذب لو أن دمعة واحدة انفجرت الى الخارج لجعلت روحي تتنفس وتحاول ان تتملى منه قبل ان يرحل لكن كنت مسلوبة ، اجاهد مثل حيوان مخنوق لكي التقط الهواء)) [٣٦] .

نلحظ وجود رؤية شاملة تصور لنا عوالم واحاسيس داخلية تمر بها تلك الشخصية ويبين الهم الانساني الفردي وما تعانيه تلك الشخصية من ضياع وبهذا استطاع السارد الكشف عن خارطة الانسان الداخلية وما يحصل بها من احاسيس وانفعالات داخلية .

وبعد ان يسافر رجب وهو على ظهر السفينة يرى امرآة سويدية تحمل معها طيوراً في قفص فيتذكر رجب الطيور التي كانت عند احد الجلادين في السجن وكيف انها شهدت عذابته على يد الجلاد (نوري) الذي يذكره رجب بتلك الاوصاف التي تدل على مهنته التي انيطت به داخل السجن ((كان نوري قصيراً واسع العينين ، شفته السفلى ثقيلة مرتخية ، أما الاذنان فقد اكتسبتا حمرة معربدة ، كان اذا خلع سترته وبان كرشه بدأ أقصر ، اما اذا رفع اكمام القميص ، حتى الساعد ، فإن الشعر الاسود الغزير يتدفق كشلال على يديه ، وكان بهاتين اليدين القصيرتين ينثر الحبوب في قفص الصور ،وكان بها تبن اليدين يغمس رأسي في الماء ، فأحس اثقالاً لا حدود لها تجثم فوقي ، حتى اذا كدت أختنق ، جر شعري بقوة ثور ، وقبل ان أشهق شهقتي الثانية أحس من جديد ثقل الماء رصاصاً كاوياً يضرب وجهي مرة أخرى) (٣٧).

من خلال المقطع السابق نجد التركيز على شكل الشخصية الخارجي وجاءت هذه الاوصاف بقصديه من السارد لكي يصور لنا ملامح الشخصية بنحو دقيق فيذكر ملامح الوجه ويعطيها اهمية كبيرة لانها تجسد دوافع ونزعات الشخصية ((فالوجه

وتفصيل رسمه ، والتركيز على بعض ملامحه يكشف عن النوازع الداخلية للشخصية ، ويوحي ببعض طباعها)) [٣٨] .

والقارئ لهذه الرواية يجد ان السارد قد اهتم بوصف العيون وربط بينها وبين حالة الشخصية النفسية وجعل هذه العيون نافذة الى اعماق الشخصيات كما في ((ستفضحني عيوني . أنه يسأل بعض الاحيان بعينيه ، وتكون عيناه مركزتين عليّ تماماً وبشكل مدمر يرى ما يجول في رأسي من افكار)) [٣٩] .

- ((حفلة الرقص مجنونة . الطفلة بعيون مليئة بالدهشة ، انسحب في ظلال المساء بعيداً)) [٤٠] .
- ((كنت معصوب العينين على الارض . هل يقتلوني وأنا في هذا الوضع)) [٤١] .
- ((رأيتُ أنيسة ، كانت هالات سوداء حول عينها)) [٤٢] .
- ((كانت عيوني تثقب اجسامهم ، تجعلها تتلوى من الحقد)) [٤٣] .
- ((احمر وجهها مرات عديدة وأنا انظر في عينيها واسألها ان كانت تحبه لهذه الدرجة ... بدأت تتحدث عنه مباشرة ، ولا تتردد في أن تذكر أن عينيه جميلتان رغم الحزن)) [٤٤] .
- ((وظلت صامتة وبقايا دموع في عينيها)) [٤٥] .
- ((بدأ يعطيها أوراقاًودون كلمات كثيرة ، وبعينيه أو بطريقته ، عندما يضغط على يدها يطلب منها أن تخفيها في مكان أمين)) [٤٦] .
- ((ادفعه بقوة نحو النور لكي يصبح كياناً له عينان وابتسامة ، الان احس اني اتحمل القيء والاوجاع .. افقد جزءاً من نفسي ، جزءاً لاعينان له ولا ابتسامة)) [٤٧] .

مما سبق تعرفنا على الوصف وعلاقته بالشخصية وسنتناول بعده الحوار والذي يعد المحرك الاساس في رواية (شرق المتوسط) لأنه يكشف لنا مستوى الشخصيات الايدلوجي والفكري ((فهذا الحوار ، قد حقق بصدق ، هدفاً فنياً كبيراً وهو كونه معياراً نفسياً دقيقاً ، يستطيع ان يصنف نفسيات الشخصيات الفنية بذكاء وحذق)) [٤٨] ويعطي الحوار للشخصية حرية التعبير عن الذات فمن خلال الحوار ينتقل مستوى السرد من الموضوعي الى الذاتي ، لان الشخصية تستخدم ضمير الأنا المتكلم وهذا يفسح لها المجال بطرح افكارها وعواطفها وانفعالاتها وتعبر بشكل مباشر عما يجول بداخلها وهذا الحوار تم استخدامه من قبل السارد

بقصيدة وغاية ليعطي لشخصيته الحرية في الكشف عن نفسها ((فالاديب هو ذلك الذي يمزق في كتاباته النقاب الذي يخفي نفوس افراد البشر))[٤٩] .

ويشكل الحوار في رواية (شرق المتوسط) منظومة من المواقف النفسية والاجتماعية للكشف عن موقف الشخصية تجاه موقف معين ، مما يعطي للشخصية نوافذ متعددة للافصاح عن حالتها النفسية والذهنية . كما في الحوار الذي يدور بين (الاغا) و (رجب) في السجن وكيف ان شخصية رجب تعاني من المرض والقلق والتردد كما في الحوار الآتي :

((يتحدث اليَّ صلباً ، يشبه صوت مذيع ينقل احتفالاً ، قال دون أن ينظر : الان .. نريد أن نبدأ بداية جديدة ، عفا الله عما مضى ، لا احقاد ولا عداوات ، ماذا تقول ؟

هذا السؤال اعرفه ، لم يوجه اليَّ من قبل ، لكنه بدأ لي مألوفاً حتى لكاني سمعته مرات كثيرة .

اجبت بصوت بدا متلجلجاً :

- أريد أن اذهب للعلاج .
- سنسمح لك ، لكن ما رأيك في ان تبعث لنا بأخبار الطلبة ؟
- لا أستطيع ، صحتي لا تساعدني .
- قدر ما تساعدك صحتك .. تقرير لكل اسبوع ، كل اسبوعين .
- لا استطيع .. لا استطيع .

قال الاغا وقد ألمته طريقتي في الرفض :

- لا تكن عنيداً فتخسر كل شيء .. الدنيا والاخرة

قلت لهم بلهجة حزينة :

- هل استطيع ان اجلس ؟)) [٥٠] .

السنوات الطويلة في السجن تجعل من (رجب) انسان لا يعرف ما يدور حوله في العالم الخارجي ، فلا يجد وسيلة للاتصال بهذا العالم الذي يحلم به الا اخته (أنيسة) التي اصبحت نافذته الوحيدة الى حلمه بالخروج من السجن ، فمن خلال شخصية (أنيسة) يستطيع ان يكتشف شخصيته التي تزعزعت بسبب هذا السجن اللعين ((وأي شيء أخر في عالم الحرية يا أنيسة ؟

- كل شيء تغير ، الشوارع غير الشوارع ، البيوت غير البيوت ، الحدائق ، الاضواء اشياء كثيرة تغيرت !
- وماذا أيضاً يا أنيسة ؟
- وتضحك وهي تجيب :
- وأنت يا رجب تغيرت كثيراً . كبرت عشر سنين ، عشرين سنة ، من يراك الان لا يعرفك : الشيب ، التجاعيد .

وتتغير نبرة صوتها وتتقلص الابتسامة وهي تضيف

– الله يلعن السجن ويومه ، قلنا حين تخرجت من الجامعة سعادتنا بدأت ، لكن ما مرَّ شهر حتى تحول الفرح الى مأتم !)) (٥١) .

يجمع السارد بين الوصف الداخلي والخارجي والحوار ليكوّن لنا صورة واضحة عن شخصيته الروائية تاركاً الباب مفتوحا لكل الاحتمالات والتكهنات لدى القارئ تجاه ما يراه من شخصيات ورقية تتحرك وتفكر وتحزن وتتألم وتفرح ، مشكّلاً بذلك نسقا ارتباطيا نفسيا بين المتلقي والشخصية وهذا ما كان يصبو إليه السارد .

المبحث الثالث : التأثيرات الزمكانية في تحول الشخصية

أ – الزمان :

يعد الزمن من العناصر الهامة في بناء نسق الاحداث فبدونه لا يمكن بناء نص روائي أساساً ((ويشكل الزمن في الرواية عنصراً مهماً تفوق قيمته لدى بعض النقاد قيمة المكان الروائي))(٥٢).

ويبقى الزمن يمارس سلطته الابدية على مصير الانسان وبالتالي على الشخصية الروائية مشكلاً بذلك هالة نفسية تقرر ما تفعله تجاه مواقف معينة سواءٌ كان هذا الزمن خارجياً ام داخلياً ، والزمن الخارجي ((غلاف الازمنة البيولوجية الفردية بالمعنى ذاته الذي يكون فيه موجة مضيئة غلافاً لعدة مويجاة اولية . إذاً يعتبر التواصل نتيجة تراكبات زمنية)) (٥٣) .

يحدد الزمن الخارجي او الطبيعي بالماضي والحاضر والمستقبل بحسب السنوات والايام والساعات بنحو منتظم ، ويجعل الشخصية تتموضع في حدث داخل النص الروائي ومعه يتداخل الزمن الداخلي أو النفسي والذي هو مرتبط بالاول ارتباطاً وثيقاً فكلما كان الزمن الخارجي ايجابيا كان الزمن النفسي ايجابياوبالعكس فهو يؤثر على وضع الشخصية الروائية نفسياً وذهبياً ((فالوقت السيكولوجي يتغير كثيراً ً يعباً للظروف)) (٥٤) والزمن الداخلي مرتبط بالذات ، والذي لا يخضع لمعايير خارجية او لمقاييس موضوعية ... بل يعتمد على المنولوج الداخلي وتداخل العناصر الزمنية والاستعارات والرموز لتصوير الذات الانسانية في تفاعلها مع تقلبات الزمن ولكن ليس الزمن نفسه بل تداعيات الوعي واللاشعور عند الشخصية وهو الوحدة التي تتضمن التداخل بين الزمن والذات (٥٥) .

لذلك فان مقاربتنا هذه لعنصر الزمن بنوعية ودوره في تنامي الحدث وارتباطه بالشخصية يتضح من خلال بداية الرواية (شرف المتوسط) ويذكر (رجب) خروجه من السجن بعد مرور خمس سنوات ((ميناء الشقاء ويالیته ميناء اللا عودة اخر قطعة من الوطن واخر اوراق خضراء وخريفاً .. ثلاثون ربيعاً .. اما الشتاء فقد جاء الآن ، جاء في الثلاثين .

كان يوم الاربعاء ١٧ تشرين الاول)) (٥٦) .
من خلال التاريخ في الصفحات الاولى من الرواية ، تنتهي رحلة العذاب عند (رجب) ولكن تبدأ الرواية بسرد احداث حدثت قبل هذا التاريخ كانت تدور في عوالم السجن ، فبعد ان يخرج رجب من سجنه يسرد لأخته (أنيسة) ما حل به خلال الخمس سنوات التي قضاها خلف جدران السجن ((ماذا يفعلون الان ؟ الساعة تجاوزت الواحدة . في الواحدة تبدأ القيلولة الغداء ينتهي في الثانية عشرة والربع ، لم يكن غداؤنا يحتمل اكثر من عشر دقائق حسيب لا يتخلى عن عادته أبداً يجب أن ينام بعد الظهر)) (٥٧) .
يبقى رجب في صراع مع الزمن لانه كان سجيناً وما يزال لان السجن هو الزمن والزمن هو السجن كلاهما يولد الاخر وما يشغل بال السجين سوى الزمن ينخر بداخله حتى يحوله الى رقم من ارقامه وهذا ما نجده من خلال معاناة رجب قبل خروجه بدقائق ((امس في هذا الوقت كنت أنساناً أخر ، حتى السادسة كنت قوياً لا ، قبل السادسة بدقائق . كنت انظر الى الساعة أريدها ان يكون الشاهد الوحيد على النهاية رغم كلماتهم الحلوة كانوا اعدائي .. الاربعة كانوا اعدائي . كانت الساعة هي المخلوق الوحيد المحايد .. قبل السادسة بأربع دقائق .. خمس دقائق .. امس في مثل هذا الوقت كنت قوياً)) (٥٨) .
نلحظ ان شخصيات السارد في الرواية تقع تحت تأثير الزمن بنوعيه ؛ لكن يبقى الزمن الداخلي هو الغالب وهذا متآتي من طبيعة السجن ، فالزمن الخارجي له دور محدود بل يكاد يكون متوقفاً ، بسبب سيطرة الزمن النفسي الذي لا حدود له بين جدران السجن ((كانت عيونهم في الليلة الاخيرة تشع ناراً كانوا يحسون بطريقة ما ان شيئاً قد حصل ، يحسون بذلك من الهواجس ، طنين الاذان وربما من الحزن الذي يأتي فجأة !
خيم علينا الحزن كظل ثقيل ، فقدنا القدرة على ان نقول شيئاً . كنت اريد ان اصرخ ، ان ارتمي على كتف امجد وابكي ، لكن عيونهم المشعة المتسألة ، بترت اخر الافكار المشتركة التي تعطي تبريراً لأن اضحك ، لأن ابكي ، لان امسك بيد أي واحد منهم واهزها كتعبير اخير عن شيء ما))(٥٩) .
تغير في الحالة النفسية الى حد الوصول للتساوي بين المتضادات (الحزن – الفرح ، البكاء – الضحك) وهذا هو ديدن الانسان في مثل هذه المواقف فمتى ما وصل الامر الى الحد المقرر أو عبر الألم ما يتوقعه الانسان اصبح لديه تساوي في الاشياء.
ولا يبقى الحال على ما هو عليه بل تتخيل الشخصية بان الزمن قد توقف وان جميع الساعات قد توقفت ((كانت الليلة الاخيرة صعبة كالولادة الميتة . توقفت الساعة التي في يدي أصبحت كحجر اسود مشلول ، ينبئ بالنهاية . تملكني الخوف

، حتى ظننت انهم لن يتركوني على قيد الحياة . تصورت أني لو نمت لحظة واحـــدة ، فسوف يطبقون علي ويقتلونني)) (٦٠) .

نجد في المقطع السابق أن الشخصية تعاني من سطوة الزمن وسريانه بشكل بطيء وهذا مرتبط بحالتها النفسية تجاه سريان الزمن فكلما كانت نفسيتها ايجابية كان الزمن أسرع وبالعكس ((الليل في بداية الشتاء طويل .. طويل . الساعة في ليالي الشتاء طويلة لدرجة أنها تتجاوز عشرات الساعات الصيفية)) (٦١) .

نلحظ ان الزمن الخارجي يتحول الى شيء جامد مما يدفع بالشخصية الى الهروب في اغوار الزمن الداخلي وهي تقنية تستخدمها الشخصية للتخلص من واقعها المعيش ((دفنت رأسي في الفراش واخذت أبكي لا اتذكر أني بكيت هكذا في حياتي كلها في لحـــظة تجمعت آلاف المواكب الحزينة ، وضغطت على رأسي بقوة ، حتى تصورت ان رأسي سينفجر ، لكن الدموع تنزف من عيني بغزارة ، رأيت المواكب الحزينة تتفكك ، تتباعد ، ثم تبتعد ، وظلت صورة أمي وهي تعود في ذلك اليوم عند العصر ، الصورة الوحيدة المليئة بالآسي)) (٦٢)

وتستمر شخصية (رجب اسماعيل) في صراعها مع تحولات السجن النفسية والزمنية وتكشف لنا عن مدى ما عاناه من ضغوط وتعذيب لإجباره على السقوط أمام نفسه وأمام الناس الذين ينتظرونه خارج السجن ((سقوط الإنسان مثل سقوط الأبنية ، تهتز في الظلمة ، ترتجف ، ثم تهوي وتسقط ، ويرافق سقوطها ذلك الضجيج الأخاذ ، ويعقبه الغبار والموت واللعنة . كنت في ظلمة السجن اتداعى ، افكر بالكتابة والعلاج ، ابعدت الفكرة مرة ، ابعدتها ألف مرة ، لكن نظرات أنيسة ، كلماتها ، الافكار الحزينة التي عبرت رأسي وأنا ارى كل ما حولي ينهار .. لم يبق في نظري شيء مقدس .. ارتجفت وأنا اوافق ، بيني وبين نفسي اول الامر ، ثم بيني وبينهم ، حتى اذا وقعت على تلك الورقة الصفراء شعرت ان كل شيء فيَّ ينهار ويسقط .. وسقطت ، ورافقت ضجة السقوط موجات الغبار التي حملتها افواههم الى كل مكان ، تبشر الناس بنهاية رجب اسماعيل البائسة))(٦٣) .

ونجد ان السارد قد اهتم بالزمن الداخلي (النفسي) اكثر من الزمن الخارجي وهذا الاهتمام تفرضه طبيعة مشروعه الروائي لان احداث روايته معظمها داخل السجن ما يتيح للشخصية التوغل في اعماقها ويجعلها في صراع دائم بين الذات والعالم الخارجي .

ب- المكان :

هو الاطار الذي تدور فيه الاحداث وللشخصية علاقة وثيقة به ((وهو امر طبيعي فالشخصيات هي التي تعيش في هذه الاماكن تتلاحم معها وتندمج فيها ، تحس

بألفتها وثمة شخصيات تتجاوز سلبيتها فتنفر من اماكن مدينة وربما تعاديها)) [٦٤] .

وتحدد ملامح المكان من خلال تفاعل الشخصيات والاشياء . فبدون هذا التلاحم لا يمكن ادراك ملامح المكان وتحديده ، أذاً هي علاقة متبادلة في النص الروائي لان ((المكان الاطار الذي تقع فيه الأحداث . وهناك اختلاف بين طريقة ادراك الزمن وطريقة ادراك المكان . حيث ان الزمن يرتبط بالإدراك النفسي اما المكان فيرتبط بالادراك الحسي))[٦٥] .

ويبني الروائي عالمه الروائي من خلال ذاكرته التي تحتوي على عوالم واماكن عاشها ، جاعلاً منها عوالم اخرى يجسدها في بناء النص الروائي وهذا يمكنه من خلق جسراً ترابطياً بين عوالمه المختلفة من جهة وبين النص والمتلقي من جهة أخرى . وبهذا يجعل القارئ متفاعلاً ومتخيلاً أحداث الرواية بكل تفاصيلها لأن ((لغة العلاقات المكانية تصبح من الوسائل الاساسية للتعرف على الواقع ، فمفاهيم مثل الأعلى / الأسفل ، القريب / البعيد ، المنفتح / المغلق ، المحدود / اللا محدود ، المنقطع / المتصل / كلها تصبح أدوات لبناء النماذج الثقافية)) [٦٦] .

وهذا الاطار المكاني الذي تجري عبره كل التجاذبات والصراعات المتشابكة يعطينا معلومات عن حركة الشخصية داخله واهمية تنظيم السرد والأحداث وتطورها ووجهة نظر متعددة تجاه هذا المكان ((وهو عنصر فاعل في هذه الأحداث بصفته الكيان الانساني الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الانسان وبيئته ؛ ولذا فان شأنه شان أي نتاج اجتماعي أخريحمل جزءاً من اخلاقية ،وافكار ووعي ساكنيه)) [٦٧] .

لذلك احتل السجن منزلة رفيعة في بناء المكان لدى (عبد الرحمن منيف) في روايته (شرق المتوسط) فقد شكلّ له السجن منجماً ثراً للأفكار والرؤى المختلفة ، والمشاهد التي ارتكزت عليها روايته . وسنعمد إلى تقسيم الاماكن في الرواية على قسمين رئيسيين هما :

أ - الاماكن المغلقة ب- الاماكن المفتوحة

حيث تشكل الاماكن المغلقة :

١- السجن ٢- البيت

اما الاماكن المفتوحة :

١- البحر ٢- المدينة

من هذه التقيسمات نلحظ ان شخصيات الرواية قيد الدراسة قد تنقلت ما بين تلك الامكنة حسب توالي الاحداث ليعطينا السارد السببية المقنعة لما حدث من تقلبات على مسار الاحداث كما في الشكل الآتي :

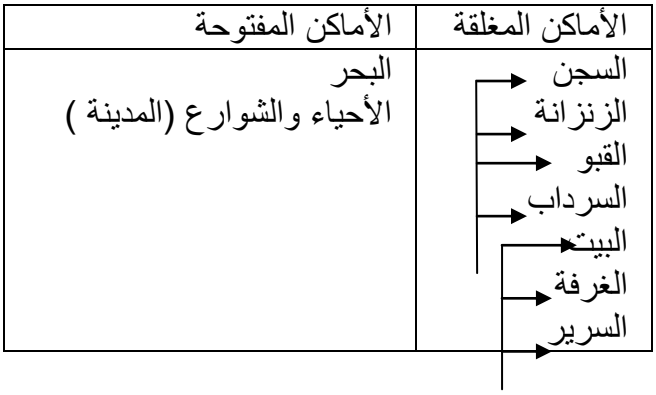

وسنتناول هذه التقسيمات بالدراسة المفصلة :

أ- الأماكن المغلقة :

السجن :

مما لا شك فيه ان السجن يمثل اصغر مساحة يمكن ان يكون داخلها الانسان وبهذا يكتسب صفة الانغلاق التام على ارادة الانسان ويجعله في عزلة مكانية ((وقد خلفت هذه العزلة المكانية متتالية من القواقع المادية والمعنوية احتبس الانسان داخلها . ورغم ان هذه القواقع قد خلقت حواجز وحدوداً شكلّت عوائق تقف في وجه الانسان في سعيه للاتصال بالعالم الخارجي والاخرين الا أنه استخدمها في نفس الوقت لحماية نفسه)) [٦٨] .

ان عالم السجن يحدد حركة الشخصية ويفرض عليها نمط يختلف عما كانت عليه قبل السجن ((وينتزع الانسان من فراشه ويقاد الى تلك الدهاليز المظلمة ، حيث يواجه باساليب وحشية من تعذيب وقهر واذلال انتهاءً بالوصول الى الزنزانة المنفردة كمحاولة لسكر الارادة والوصول الى انتزاع الاعتراف)) [٦٩] .

يشكل السجن نسبة ٨٠% من بناء الرواية لان احداثها تنطلق من خلال ما يرويه (رجب) عن ذكرياته في السجن وهو على ظهر الباخرة (اشيلوس) ((لم تمت أم أي واحد منهم .. أمي وحدها هي التي ماتت وأنا سجين .. لا انكر ان اثنين منا كانا دون أمهات قبل السجن منذ وقت لا يتذكرانه ، اما الآخرون ، فانهم ظلوا يتدفأون بذاك الحنين الرائع ، وهم يتذكرون امهاتهم . كانوا متأكدين ان السجن سينتهي يوماً ، ويعودون إلى بيوت تملؤها الأمهات بالدف)) [٧٠] .

أحياناً تتماهي الشخصية مع المكان حتى يصبح جزءا من كيانها سواءا أكان هذا المكان أيجابياً ام سلبياً ، ولاسيما السجن أنه الذكريات المؤلمة المضغوطة والتي تعشش في ذاكرة السجين كما يقول (رجب اسماعيل) ((السجن يا أنيسة في داخل الانسان ، اتمنى الا احمل سجني اينما ذهبت ، ان مجرد تصور هذا عذاب يدفع بالانسان الى الانتحار !)) [٧١] .

ويصبح المكان اكثر انغلاقاً عندما يحول السجين الى المحجر او القبو ويكون وحيداً لا يسمح له بالاتصال بأي شخص وهذه الاساليب لكسر ارادة السجين ولجعله ضعيفاً اما انتزاع الاعترافات ((كان القبو صغيراً لدرجة ان ثلاثة اشخاص لا يمكن ان يناموا فيه ، اما الجدران والسقف ، فقد كانت متقاربة لزجة ، والنافذة الصغيرة ، والتي تشبه شقاً كانت تستقبل ضوءاً باهتاً ، ينزلق اليها من أرض الحوش)) [٧٢] .

البيت :

انتقلت الشخصية الى مكان أخر اكثر اتساعاً من الاول (السجن) واصبحت تمارس حياتها بشكل طبيعي ، ويعد البيت المكان الوحيد الذي يرتبط بحياة الانسان روحياً لأنه عاش فيه واكتسب اول المهارات والتقاليد . فمن خلال البيوت نستطيع فهم تحولات الشخصية النفسية ((فالبيوت والمنازل تشكل نموذجاً ملائماً لدراسة قيم الألفة ومظاهر الحياة الداخلية التي تعيشها الشخصيات)) [٧٣] .

لا يمكن معرفة تفاصيل البيت وصفاته الا من خلال حركة الشخصية داخله ، فكل حركة تنقل لنا تفاصيل لمقطع من البيت ((كان السكون يغطي الدار كلها ، الاولاد نائمون منذ ساعات ، وفي الخارج شيء يشبه الريح الصغيرة ، كنت ارى اثارها من الاهتزازات الينة للستائر ، ومن صرير باب قن الدجاج)) [٧٤] .

وهناك فرق كبير بين السجن والبيت ، فالاول يسلب حرية الشخصية بالكامل اما الثاني فيعطي للشخصية حرية كاملة ، فلا يمكن للشخصية ان تجد هذه الحرية في أي مكان غير البيت ، فتربط به لأن بيت الانسان امتداد له كما يؤكد ويليك ((فأنك ان وصفت البيت فقد وصفت الانسان)) [٧٥] .

ونلحظ ان البيت اخذ حيزاً لا بأس به من الوصف ، فنجد وصفاً لتكوين البيت من خلال عيون رجب والذي قرر الرحيل الى بلاد الغربة ((كان يدور بحركة اقرب الى من يفتش عن شيء ضائع . كان يخرج من غرفة لأخرى ينظر الى الجدران ، الى النوافذ ـ الى وجوهنا . كانت نظراته متسائلة . لم يتكلم ، لم يكن يتذكر ، كان يبحث)) [٧٦] .

نجد ان شخصية رجب تعاني من عدم الاستقرار بعد خروجه من السجن ولم يبق في البيت الا فترة قصيرة جداً ، لأنه دائم البحث عن الحرية والتي يفتقدها في بلاده ، وراح يبحث عنها في بلاد اخرى بعيدة عن مناطق شرق المتوسط .

ب- الأماكن المفتوحة :

١- البحر : يمثل البحر فضاءً مفتوحاً لحركة الشخصيات ويلهمها الامل في الحياة ، لأن البحر صاخب دائماً ويثير في نفوس الشخصيات النشاط والحركة والمغامرة وهذه الاماكن المفتوحة ((تكون مسرحاً لحركة الشخصيات وتنقلاتها

وتمثل الفضاءات التي تجد فيها الشخصيات نفسها كلما غادرت اماكن اقامتها الثابتة)) [٧٧] .

والمكان المفتوح في رواية (شرق المتوسط) نلحظه من خلال العنوان وما كتب على غلاف الرواية ، فهذه العتبة في العنوان توحي بموقع حصول احداث الرواية وتحدد جغرافية المنطقة بطريقة غير مباشرة / كما جاء على غلاف الرواية ((في زمن ما ، وعلى هذه الارض الغبراء الممتدة الى مالا نهاية من شواطئ المتوسط وحتى الصحراء البعيدة ، كانت اشياء كثيرة تحدث ، وكانت اشياء كثيرة تمر بصمت . والانسان على هذه الارض الغبراء كان يتحدى)) *

ويصبح المكان اكثر اتساعاً عندما تنتقل احداث الرواية وترتبط بالبحر ((عرفت اذن انها تسافر الى بريطانيا ، وانها طالبة ، لم أسألها من قبل وبعد ذلك تحدثنا مثل طيور عصبية ، عن البحر والغناء والسفر . كان البحر في بداية الغضب ، قلنا ذلك ، وكان الغناء قد انتهى ، قلنا كان الغناء رائعاً . اما السفر ، فقد بدأنا نتحدث عنه)) [٧٨] .

اصبح البحر جزءاً من شخصية (رجب) ، لأنه وجد فيه ما يوافق افكاره ، فرجب الشخص الثأر على واقعه والذي لا يهدأ له بال ، يبدأ بتأمل البحر ويتذكر ايام السجن فوجد البحر هائلاً وكبيراً وامواجه المتتالية وثورانه بين الفينة والفينة ومع هذا فانه لم يستطع التلائم مع الوضع الجديد كما اخبر بذلك أخته (أنيسة) من خلال الرسائل ((قال أنه كتب الرسالة في الباخرة ، وسوف يرسلها من ميلانو . تحدث عن المهاجرين والبحر ، تحدث عن الباخرة الكبيرة التي تضم عدداً كبيراً من البشر من جنسيات مختلفة ،وقال أنه لا يشعر بالملل ، لكن يحس كل شيء حوله غريباً وأنه لا يستطيع التلاؤم مع هذه الحياة الجديدة ثم عاد واستدرك ، فقال ان حياة الباخرة مؤقتة ، ولا تمثل شيئاً من الحياة التي ينتظرها)) [٧٩] .

ان حركة الشخصية في هذه الفضاءات المفتوحة والسفر الدائم والبحث عن الاستقرار له ما يبرره ، فسفر (رجب) الى تلك البلاد له غاية يحلم بها منذُ زمن بعيد ، فبعد ان عجز عن تغيير الواقع في بلاده بالسلاح أصبح اليوم في وضع جديد ، حيث أنه اختار الكتابة والكلمة ليطلقها من تلك البلاد لعلها توصل ولو شيء بسيط من افكاره وما عاناه في السجن فكانت روايته (شرق المتوسط) حيث يقول :

((ومن اجل الكلمة سافرت ، ركبت البحر الصاخب في الشتاء الحزين لعلي من مكان بعيداً استطيع أن اقول الكلمات التي حلمتُ بها طوال خمس سنين)) [٨٠] .

٢- المدينة : سيكون هذا المكان المفتوح من اتجاهين الاول الابنية والشواع والاحياء والازقة والثاني من العلاقات المتشابكة بين فئات المجتمع مشكلاً بذلك فضاءً روائياً صالحاً لحركة الشخصيات والمدينة هي صانعة الرواية والمستهلك

الاساسي لها ، حيث ارتبط ازدهار الرواية بالمدن الكبرى ولهذا كان لا بد للكاتب من خبرة في وصف الامكنة وايصالها لذهن القارئ لان ((وصف الامكنة والاشخاص والاشياء لا يقل اهمية عن سرد الاحداث والافعال)) [٨١] .

هناك مرحلتان لملامح المدينة في (شرق المتوسط) المرحلة الاولى في السجن فلا نجد مدينة حقيقية تتحرك فيها الشخصية بل تأخذ ملامح هذه المدينة من خلال تخيلات (رجب) داخل السجن ، فهو يعتمد على الذاكرة ليصور المدينة التي تكبر وتنمو في تلك الذاكرة ، ونلحظه محاصراً بالذكريات تمتد الى اعماق نفسه ويستلهم رجب ما يتذكره في سبيل الانطلاق في عوالم يحلم بها ، لتخلص من واقعه المرير داخل السجن ((واصمت .. لكن العالم الخارجي يظل في رأسي كتلة نار راكضة ، هل هذا العالم موجود فعلاً ؟ هل ما زال الناس يذهبون الى دور السينما ؟ يضحكون ؟ يجلسون في الحدائق ؟ السيارات الا تزال تسير في الشوارع ؟ والباعة والمتاجر ، والمتحف ، آه لشد ما اتلهف لان اذهب الى المتحف والنساء ؟ النساء في المدينة الكبيرة آلاف عشرات الآلاف))[٨٢] .

ويتساءل رجب دائماً عن المدينة ((هل ما زال العالم الخارجي موجوداً بالفعل)) [٨٣] . لشدة ماعاناه من تعذيب ووصل الى اعلى درجات اليأس ، فبات لا يؤمن بوجود المدينة ولا الناس وكأنه الوحيد في هذه الدنيا ((الشوارع المضاءة في الليل ، الناس ، الرجال والنساء ، كل شيء في العالم الخارجي يسير دون خوف)) [٨٤] .

أما المرحلة الثانية لملامح المدينة فتتجسد بعد خروج (رجب) من السجن وسفره الى اليونان وايطاليا ودول اخرى وهذه المرحلة تصور لنا مدن حقيقة على أرض الواقع لان الشخصية فيها تتحرك بحرية وتنقل ما تراه بشكل مفصل ، واول مكان يصل أليه (رجب) هو اليونان ((اشيلوس باخرة الركاب اليونانية تبحر الان عبر المتوسط اذا انقطع المطر ، وظل البحر مثلما هو الان ، غاضباً كرجل وقور ، فعند الغروب سنصل الى البيريه أو خصلة من أرض اليونان ، لن اتوقف فيها اكثر مما تتوقف الباخرة ، لا اريد يونان معذبة ، سأحيي رجالها من بعيد ، وأواصل الرحيل ، قالوا ان الحرية في ارض اخرى أبعد من اليونان ، يمكن ان يعيش فيها الانسان أيامه دون ان يوقظه عند الفجر صوت المخبرين وضربات احذيتهم .. سارحل الى تلك البلاد)) [٨٥] .

وتبقى هذه الشخصية في سفر دائم للبحث عن الحرية حتى ينتهي بها المطاف في مدينة أثينا البعيدة عن موطن (أنيسة) حسب الرسالة التي وصلت من (رجب) ((قرأت البطاقة وبكيت . وتأكدت ان رجب اصبح بعيداً ، بعيداً جداً كانت البطاقة بعنوان حامد ، لكن وجهها الينا كلنا : أعزائي : أثينا تغرق في الضباب الناعم .

مطر هادئ في نهاية الليل ، اما في الصباح فالضباب والنقاء .كل شيء مغسول . ويكاد يضحك)) [٨٦] .

من خلال هذه الاوصاف لتلك المدينة يوازن رجب بين وطنه ، وكيف أنه استلب الحرية وتعرض لكل الاهانات وأحس بالغربة في وطنه بينما في بلاد الغربة النقاء والصفاء والمحبة ، فالاحساس بالمكان لدى الشخصية وفي تعبيرها عنه يجعل القارئ يحس بالانطباع والاندماج بالجو المألوف والذي تنتقل فيه الشخصية .

الخاتمة

بعد ان انتهيت من هذه الدراسة توصلت الى عدة نتائج من خلال سبر اغوار شخصيات عبدالرحمن منيف في روايته (شرق المتوسط) ، ومن هذه النتائج :

١. ان الصراع بين شخصيات عبدالرحمن منيف يتجسد من خلال الثنائيات (الشر والخير) (القوة والضعف) و (الحب والبغض) و (الهزيمة والانتصار) و (الغني والفقير) و (السياسي والانسان العادي) .

٢. اما بطل الرواية (رجب) فهو انسان صاحب اتجاه ايدلوجي ويسعى لتحقيق هذا الاتجاه ولو على حساب نفسه ، من اجل الجماعة .

٣. ادانة الواقع في كثير من دول شرق المتوسط ، من خلال عالم السجون والتعذيب ، وبث الامل من جديد لكثير من الشخصيات والتي تعاني خلف قضبان السجون .

٤. الكشف عن خارطة الانسان الداخلية عن طريق رسم تحول الشخصيات من الداخل .

٥. للمكان خصوصية لديه اذ انه يرتبط ارتباطا نفسيا واجتماعيا مع تصرفات الشخصية داخله ، ولا سيما ان المكان المهيمن في روايته هو (السجن) ، ولذلك وجدناه جزءا من الشخصية .

الهوامش

١- ينظر : المدخل الى نظرية النقد النفسي : سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد زين الدين المختاري ، ص٥ .

٢- الأدب وقضايا العصر ، ترجمة : عادل العامل ، (مجموعة مقالات نقدية) ، ص٤٦ .

٣- عالم الرواية ، رولان بور نوف ، وريال أوئيليه ، ترجمة : نهاد التكرلي ، ص١٤٨ .

٤- علم النفسي الجمعي وتحليل الانا ، سيغموند فرويد ، ترجمة : جورج طرابيشي ، ص٥ .

٥- عالم الرواية ، ص١٥١ .
٦- النقد التطبيقي التحليلي ، عدنان خالد ، ص٦٨ .
٧- بناء الرواية ، ادوين موير ، ترجمة : ابراهيم الصيرفي ، ص٢٠ .
٨- عالم الرواية ، ص١٥٢ .
٩- الشخصية بين النجاج والفشل ، عباس مهدي ، ص٢١١ .
١٠- ينظر : عالم القصة في سرد طه حسين ، احمد السماوي،ص٤٦ .
١١- رواية شرق المتوسط ، عبد الرحمن منيف ، ص٨-٧ .
١٢- علم النفس الجمعي وتحليل الانا ، ص٣٢ .
١٣- شرق المتوسط ، ص١٤ .
١٤- جماليات التشكيل الروائي (دراسة الملحمة الروائية (مدارات الشرق) لنبيل سلمان ، محمد صابر عبيد ، سوسن هادي جعفر البياتي ، ص٩١ .
١٥- شرق المتوسط ، ص١٤ -١٥ .
١٦- المصدر نفسه ، ص٢٢ .
١٧- المصدر نفسه ، ص٢٢.
١٨- المصدر نفسه ، ص٢٣ .
١٩- المصدر نفسه ، ص٢٥.
٢٠- المصدر نفسه ، ص٢٦ .
٢١- المصدر نفسه ، ص٣٧.
٢٢- المصدر نفسه ، ص٧٤.
٢٣- المصدر نفسه ، ص١٠٧ .
٢٤- المصدر نفسه ، ص١٧٦ .
٢٥- رسم الشخصية في روايات حنّا مينة ، فريال كامل سماحة ، ص٣١ .
٢٦- وظيفة الوصف في الرواية ، عبد اللطيف محفوظ ، ص٦ .
٢٧- البناء الفني لرواية الحرب في العراق ، عبد الله ابراهيم ، ص١٨٠ .
٢٨- القوام الابستمولوجي لجماليات التلقي ، رشيد بنحدو ، علامات في النقد ، ج٣٦ ، مج٩ ، ٢٠٠٠م ، الرياض ، ص٣٦٦ .
٢٩- الزمن والرواية ، مندلاو ، ص١٥٤ .
٣٠- بناء الرواية ، سيزا قاسم ، ص١١٢ .
٣١- سايكولوجية الابداع في الحياة ، عبد العلي الجسماني ، ص٦١ .

٣٢- شرق المتوسط ، ص١٢ .
٣٣- المصدر نفسه ، ص٣٨ .
٣٤- المصدر نفسه ، ص٤٣ .
٣٥- المصدر نفسه ، ص٥٠ .
٣٦- المصدر نفسه ، ص٧٧ .
٣٧- المصدر نفسه ، ص٩٧ .
٣٨- البناء الفني لرواية الحرب في العراق ، ص٩١ .
٣٩- شرق المتوسط ، ص٧٠ .
٤٠- المصدر نفسه ، ص٩٩ .
٤١- المصدر نفسه ، ص١٠٣ .
٤٢- المصدر نفسه ، ص١٠٤ .
٤٣- المصدر نفسه ، ص١٠٤ .
٤٤- المصدر نفسه ، ١٠٩ .
٤٥- المصدر نفسه ، ص١١٠ .
٤٦- المصدر نفسه ، ص١٢٦ .
٤٧- المصدر نفسه ، ص١٢٩ .
٤٨- النهايات المفتوحة (دراسة نقدية في فن انطوان تشيكوف القصصي) ، شاكر النابلسي ، ص٥٧ .
٤٩- علم النفس والادب ، سامي الدروبي ، ص٦١ .
٥٠- شرق المتوسط ، ص٩-١٠ .
٥١- المصدر نفسه ، ص٣٤ .
٥٢- بناء الرواية عند حسن مطلك ، عبد الرحمن محمد محمود الجبوري ، اطروحة دكتوراه ، موصل ، ٢٠٠٧ ، ص١٥ .
٥٣- جدلية الزمن ، غاستون باشلار ، ترجمة : خليل احمد خليل ، ص١١٠ .
٥٤- الزمن والرواية ، ص١٣٨ .
٥٥- بناء الرواية ، ص٧٣ .
٥٦- شرق المتوسط ، ص٧ .
٥٧- المصدر نفسه ، ص١٣ .
٥٨- المصدر نفسه ، ص١٦ .
٥٩- المصدر نفسه ، ص١٨ .
٦٠- المصدر نفسه ، ص١٨ .
٦١- المصدر نفسه ، ص٢١ .

٦٢- المصدر نفسه ، ص٤٤ .
٦٣- المصدر نفسه ، ١٤٩ .
٦٤- جماليات التشكيل الروائي ، ص٢٣١ .
٦٥- بناء الرواية ، ص١٠٢ .
٦٦- بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية) ، حسن بحراوي ، ص٣٤ .
٦٧- الرواية والمكان ، ياسين النصر ، الموسوعة الصغير ، ص١٧.
٦٨- بناء الرواية ، ص٦٨ .
٦٩- حوار عبد الرحمن منيف حول هموم الرواية وهموم الواقع العربي ، اجرى الحوار عبد اللطيف الحناشي ، مجلة المستقبل العربي السنة ١٤ ، العدد ١٥٥ ، كانون الثاني يناير ١٩٩٢م ، ص١٢١ .
٧٠- شرق المتوسط ، ص٢٢-٢٣ .
٧١- المصدر نفسه ، ص٧٤ .
٧٢- المصدر نفسه ، ص٨٥ .
٧٣- بنية الشكل الروائي ، ص٤٣ .
٧٤- شرق المتوسط ، ص٣٦ .
٧٥- جماليات المكان : غاستون باشلار ، غالب هلسا : مجلة الاقلام ، ع١٠ ، ١٩٧٩ ، ص٥٨ .
٧٦- شرق المتوسط ، ص٧٥ .
٧٧- بنية الشكل الروائي ، ص٤٠ .
* غلاف الرواية الخارجي .
٧٨- شرق المتوسط ، ص٨٣ .
٧٩- المصدر نفسه ،ص١٠٩ .
٨٠- المصدر نفسه ، ص١٤٣ .
٨١- الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا ، ابراهيم جنداري ، ١٨٤ .
٨٢- شرق المتوسط ، ص٢٩ .
٨٣- المصدر نفسه ، ص٢٩ .
٨٤- المصدر نفسه ، ص٢٩ .
٨٥- المصدر نفسه ، ص٧٨ .
٨٦- المصدر نفسه ، ص١٠٧ .

المصادر والمراجع

١- الادب وقضايا العصر ، ترجمة : عادل العامل ، مراجعة ، يوسف عبد المسيح ثروة ، مجموعة مقالات نقدية ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، ١٩٨١.

٢- بناء الرواية ، أدوين موير ، ترجمة : ابراهيم الصيرفي ، المطبعة المصرية العامة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر ، ١٩٦٥ .

٣- بناء الرواية ، سيزا قاسم ، دار التنوير ، بيروت ، الطبعة ، ١٩٨٥ .

٤- البناء الفني لرواية الحرب في العراق ، عبد الله ابراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٨ .

٥- بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية) ، حسن بحراوي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠ .

٦- جدلية الزمن ، غاستون باشلار ، ترجمة خليل احمد خليل ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط٢ ، ١٩٨٨ .

٧- جماليات التشكيل الروائي (دراسة في الملحمة الروائية ((مدارات الشرق)) انبيل سليمان ، محمد صابر عبيد ، سوسن هادي البياتي ، دار الحوار ، ط١ ، ٢٠٠٨ ، سوريا .

٨- رسم الشخصية في روايات حنّا مينة ، فريال كامل سماحة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، ١٩٩٩ .

٩- الرواية والمكان ، ياسين النصير ، الموسوعة الصغيرة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٦ .

١٠- الزمن والرواية ، أ- أ ، مندلاو ، ترجمة : بكر عباس ، مراجعة : احسان عباس ، دار صادر ،بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ .

١١- سايكولوجية الابداع في الحياة ، أ.د. عبد العلي الجمساني ، الدار العربي للعلوم ، ط٢ ، ٢٠٠٠م .

١٢- الشخصية بين النجاح والفشل ، عباس مهدي ، دار الحرف العربي ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٨م .

١٣- شرق المتوسط ، رواية عبد الرحمن منيف ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .

١٤- عالم الرواية ، رولان برونوف ، ريال أوئيليه ، ترجمة : نهاد التكرلي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩١م .

١٥- عالم القصة في سرد طه حسين ، احمد السماوي ، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٩٩٦م .
١٦- علم النفس الجمعي وتحليل الانا ، سيغموند فريدون ، ترجمة : جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩م .
١٧- علم النفس والادب ، سامي الدروبي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧١م .
١٨- الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا ، ابراهيم جنداري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، بغداد ، ٢٠٠١ .
١٩- مدخل الى نظرية النقد النفسي ، سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد ، زين الدين المختاري ، دمشق ، اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٨ ، مكتبة الاسد .
٢٠- النقد التطبيقي التحليلي ، عدنان خالد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٦م .
٢١- النهايات المفتوحة (دراسة نقدية في قصص انطوان تشيكوف القصصي) ، شاكر النابلسي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٥م .
٢٢- وظيفة الوصف في الرواية ، عبد اللطيف محفوظ ، دار اليسر للنشر والتوزيع ، المغرب ، ط١ ، ١٩٨٩م .

الدوريـــات

١- جماليات المكان : غاستون باشلار ، ترجمة : غالب هلسا ، مجلة الاقلام ، ع١٠ ، ١٩٧٩م .
٢- حوار مع عبد الرحمن منيف حول هموم الرواية ، وهموم الواقع العربي ، مجلة المستقبل العربي ، سنة ١٤ ، ع١٥٥ ، كانون الثاني ، يناير ١٩٩م ، اجرى الحوار ، عبد اللطيف الحناشي .
٣- القوام الابستمولوجي لجمالية التلقي ، رشيد بنحدو ، علامات في النقد ، ج٣٦ ، مج٩ ، الرياض ، ٢٠٠٠م .

الاطاريـح

١- بناء الرواية عند حسن مطلك ، عبد الرحمن محمد محمود الجبوري ، اطروحة دكتوراه ، الموصل ، ٢٠٠٧م .

The psychological changes in the fictional character of munef's "East Mediterranean" as a model

Ayad Jawhar Abdullah
Assistant instructor

Abstract

The Current paper examines a novel entitled "The East of the Mediter ranean " which belongs to a type of literature known as the prison literature . The novel in question is written by Abdurrahman Muneef . The study includes apschological analysis of characters and an identitication of the psychological trans formations within them . The study cliscovers that psychological crises , physical challenges and hawing different views lead the characters to find other outlets for self – expression in jail .

The study in hand is divided in to an introduction and a section entitled" psychology and Novel " which is followeel by three other sections .

The first section obserues the reiation between the hero and the anti – hero . The second section trans formation . The last section investigstes time / place influence in coutoide and inside , place open and close .